تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا } يدعوهم إلى ا D ولكنا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع أهل الأرض وأمرناك أن تبلغهم القرآن { لأنذركم به ومن بلغ } { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } { لتنذر أم القرى ومن حولها } { قل يا أيها الناس إني رسول ا إليكم جميعا } وفي الصحيحين [بعثت إلى الأحمر والأسود] وفيهما [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة] ولهذا قال تعالى : { فلا تطع الكافرين وجاهدهم به } يعني القرآن قاله ابن عباس { جهادا كبيرا } كما قال تعالى : { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين } الاية .

وقوله تعالى : { وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج } أي خلق الماءين : الحلو والملح فالحلو كالأنهار والعيون والابار وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال قاله ابن جريج واختاره ابن جرير وهذا المعنى لا شك فيه فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات وا سبحانه وتعالى إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس فرقه ا تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارا وعيونا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأرضيهم .

وقوله تعالى : { وهذا ملح أجاج } أي مالح مر زعاق لا يستساغ وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب : البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر وما شاكلها وما شابهها من البحار الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح ومنها ما فيه مد وجزر ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الأولى فإذا استهل الهلال من الشهر الاخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص فأجرى ا سبحانه وتعالى ـ وهو ذو القدرة التامة ـ العادة بذلك فكل هذه البحار الساكنة خلقها ا سبحانه وتعالى مالحة لئلا يحصل بسببها نتن الهواء فيفسد الوجود بذلك ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان ولما كان ماؤها مالحا كان هواؤها صحيحا وميتتها طيبة ولهذا [قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقد سئل عن ماء البحر : أنتوضأ به ؟ فقال] هو الطهور ماؤه الحل ميتته [ ] رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد .

وقوله تعالى : { وجعل بينهما برزخا وحجرا } أي بين العذب والمالح { برزخا } أي حاجزا وهو اليبس من الأرض { وحجرا محجورا } أي مانعا من أن يصل أحدهما إلى الاخر كقوله

تعالى : { مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان } وقوله تعالى : { أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع ا ؟ بل أكثرهم لا يعلمون } وقوله تعالى : { وهو الذي خلق من الماء بشرا } الاية أي خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرا وأنثى كما يشاء { فجعله نسبا وصهرا } فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهرا ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال تعالى : { وكان ربك قديرا }